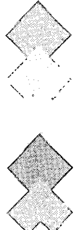
حسن أبو قباعة المجبري

رواية
غياهب الحي المقابل

الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE



رواية

غياهب الحي المقابل

حسن أبو قباعة المجبري

رواية

غياهب الحي المقابل



حسن أبو قباعة المجبري

رواية غياهب الحي المقابل

الطبعة الأولى : **2018** م

رقم الإيداع المحلي: **2018/414**

رقم الإيداع الدولي: **9789959-11-953-0**

دار الكتب الوطنية بنغازي - ليبيا

هاتف: **7165022.21821**+ - بريد مصور **4843580-21821**+

ص.ب: **75454** - طرابلس **Email: almosgb@yahoo.com**

فصول الرواية

1- الممددون في الأرض

هرج ومرج وكلمات متناثرة من حناجر الجموع المكتظة.

... البعض يقف في صف متراص طويل ثابت والآخرون يتدفقون عليهم متمتمين ببعض الكلمات الحزينة:

"عظم الله أجرك" "البركة فيك" "البركة في سيدنا محمد علية السلام" ... "العزاء واحد ... المصاب واحد".

كانت هذه هي الكلمات المتناثرة والمتداخلة في ذلك اليوم الحزين...

جمع كبير من الناس المختلفين في كل شي بدء بأعمارهم وانتهاء بثيابهم والتي عكست مستوى معيشة وحياة مرتديها في ذلك اليوم من ذلك الصيف.

وكاختلاف أصابع اليد الواحدة كان الجمع المكتظ مختلفا في كل شئ.

حركة أدمية مختلفة! سلام وتحايا مختلفة! طريقة تحدث مختلفة! ولكنهم كانوا قد اتفقوا فقط في شيئين في ذلك المكان والزمان.

الأول: هو الحزن العميق الظاهر على الوجوه والذي زادته حرارة الشمس الملتهبة مسحة قاتمة وظهور علامات الشعور بالتعب والإرهاق.

والثاني: هو دخولهم المكان المهيب إن عاجلا أو أجلا ..

... تدفق الجمع المتلاحق من ذلك المدخل الضيق والذي يزداد اتساعا تدريجيا كلما تقدم الداخلون من خلاله...

... وعندما دخل الجميع انقسموا تلقائيا إلى ثلاث مجموعات:

مجموعه أخذت ذلك الشئ المحمول من على الأكتاف وانزلوه، ثم اسكنوه البيت الجديد، والذي كان صغيرا جدا !... منتظرا بشغف حضور قاطنه الجديد.

كان القاطن الجديد ممددا بتواضع قصري داخل ذلك الصندوق الخشبي ولايدرى مايجرى من حوله في تلك اللحظات...

انزلوه من على الاكتاف ... ادخلوه الحفرة، ثم اقفلو ا عليه الباب بعناية وأعطوه رقما!؟ كان الرقم الأخير في تسلسل أرقام الموتى في تلك البقعة من الأرض.

* مجموعة أخرى وقفت متراصة في الخلف منتظرة متضرعة إلى الله بصوت منخفض وأيديهم متوجهة إلى السماء.

المجموعة الأخيرة... وقفت في صفا متراصا لايكاد ينتهي... منتظرين قدوم الآخرين لإنهاء ذلك العمل التقليدي في ذلك المكان...

... وبمجرد اقتراب ذلك الجمع من بداية الصف الطويل تصاعدت الأصوات وتداخلت وامتزجت في كلمات حملت معاني التعظيم والاجلال ونهاية الآجال.

... كان هذا هو المشهدالاخير لمراسم تلك الجنازة المهيبة في ذلك اليوم الحزين.

... وما أن انتهت مراسم الجنازة الأخيرة في بداية ذلك الصيف، وانصرف الناس بحلول الظلام التدريجي حتى ظهر للممددين القدامى شبح الممدد الجديد.

تنبه أشباح الممددين القدامى للضيف الجديد... فأشاروا إليه بالجلوس قرب شبح الممدد الأول... ليقوم بأداء واجبه المعتاد وتوضيح الروية والصورة للممدد الجديد في كل مرة... وتعريفه بالمكان... وقاطنيه الأشباح.

... جلس الممدد الجديد كئيبا، مذهولا ومندهشا دون أن يتفوه بكلمة، واخذ يتجول ببصره داخل تلك المقبرة العتيقة المخيفة.

أشجار غريبة ذات أوراق خضراء كثيفة مختلفة الأشكال والأحجام ... جذورها اندست في القبور لتمتص غذائها من الأجساد الممددة ...

شواهد تحمل أرقاما متسلسلة، أو عناوين الموتى ... قبور متراصة في كل مكان ... ازدحام شديد لتلك القبور في تلك البقعة ... أنواع وأشكال مختلفة لكل القبور ... البعض منها كان اثرياً، والبعض الآخر قديم ... قبور كانت متهالكة ... وهناك الفاخرة وأيضا الحديثة.

... وكان صفير الرياح الشديدة وكأنه ناي يعزف بين الحين والحين لحنا حزينا لم يعزفه احد من قبل، ولا من بعد، حتى "بيتهوفن" وهو فى أوج مجده الفنى وقمة وذروة إبداعه ... لحن ينساب من بين ثنايا القبور.

كانت بعض القبور تحمل في ثناياها رموزا ورسومات وطلاسم، لا يستطيع اى عالم فكها، أو فهمها بسهولة، أو ترجمة ما تخفي من أسرار ومعان، وكانت تحمل أشياء تتطاير وتتقافز في كل مكان.

حل الظلام في الليلة الأولى، والضيف الأخير لايزال جالسا على هذه الحال.

تزينت السماء بالنجوم، وظهر ضوء السيد ... سيد كواكب السماء ... ضوء البدر.

ما الذي كان يحدث تحت ضوء البدر؟، وما تلك الدوائر والمواضيع التي كان يثيرها هولاء الموجودون في تلك الدوائر والحلقات.

تسأل الممدد الأخير: .. في ذهنه الميت ..

وقال: "هل تكون العفاريت؟"

نعم وبكل بساطة الأشباح ... أشباح تلك الأجسام والهياكل الممددة في هذه المقبرة حيث كان لا يمر يوم على المقبرة ... إلا وتستقبل فيه مجموعة من الموتى الجدد.

والإقامة دائما قسرية ... فلن يغادر أحد في انتظار يوم الحساب.

والوقوف أمام وجه الرحمن .. سبحانه وتعالى.

"صاحب القرار".

... لكن هذا اليوم كان مختلفا، لقد حدث شئ غير مألوف في هذه المقبرة ... لقد استقبلت ضيفا وحيداً في إحدى زواياها.

والذي بقدوم ظلمة الليل سوف يكتمل القمر استدارة، ويظهر بدراً ... كان الضجر والملل سائدين في تلك المقبرة ... ولا توجد أشياء خاصة بالترفية مثل تلك الأشياء التي تركها خلفه في البيت من جهاز مرئي ... وهاتف خلوي، وأجهزة الترفية المختلفة التي تزيح عن الإنسان كل أجواء الملل والضجر، وكل شي اخترعه (اليابانيون) كان رائعا وجميلا ... إنهم فاكهة الحياة الد نيا؛ لكونهم أكثر المخترعين لأجهزة وأدوات الترفية في العالم في ذلك الوقت...

"لا يوجد كاس عالم لكرة القدم ...!"

قالها الممدد الأخير، واصطحبها بزفرة عميقة أظهرت ما كان يجيش في صدره من حزن وقلق كبيرين ... لاتوجد أشياء لتمضية الوقت هنا إلا الأحاديث ... وتحت ضوء القمر فقط يتم سرد حكايات وأخبار الحي المقابل. الذي يعج ويضج بالحياة .. إنها طعم ولذة الحياة .. إنها الدنيا خارج أسوار المقبرة العتيقة.

انتبه الممدد الأخير إلى وجود شبح الممدد الأول خلفه منذ قدومه منتظرا بداية عملة المعتاد، وهو الرد على أسئلته .. لكونه الضيف الجديد والأخير...!!

- قال شبح الممدد الأخير:

وكأننا وقعنا في مصيدة .. دخولها مسموح والخروج منها يبدو ممنوع.

- رد شبح الممدد الأول: بالضبط بابني.. لقد نطقت عين الصواب.

- قال شبح الممدد الأخير:

لم أتشرف بمعرفتك ياسيدي، هلا عرفتني عن نفسك بالله عليك؟.

- قال شبح الممدد الأول:

بالممدد الأول .. نادني بالممدد الأول.

- وأضاف: لأننا هنا نسينا أسماءنا، ولانعرف كيفية التمييز فيما بيننا إلا بالأرقام التي منحها لنا القائمون على هذه المقبرة .. إنها طريقة مجدية وجيدة ... حيث لن تتشابه الأرقام أبدا.

- قال شبح الممدد الأخير في قراره نفسه:

باه .. أرقام وقبور .. وأشجار عالية .. وكثيفة وطلاسم ورموز وأشياء وأجسام بيضاء تتطاير .. إنه لمكان عجيب ورهيب.

حلقات دائرية من الأشباح الجالسة، والآخرى بقربها واقفة ومنتشرة في كل مكان حول القبور ..

يا الهي ماهذا المكان المخيف ...!؟

صرخة خرجت من داخل أعماقه كشفت عن خوفه واندهاشه وبؤسه الشديد.

كانت أجساما لأشباح متطايرة بأكفان بيضاء ... وكأنها أجسام طيور النورس البيض القادمة من كل أرجاء المعمورة لالتقاط شئ ما من هذا المكان الموحش..

"... انظر يا الهي من تلك الفتاة الفاتنة الجالسة هناك بثيابها الناصعة البياض وكأنها في ليله زفافها!؟.

يا الله حتى هنا توجد أشياء جميلة ... تدعو للتأمل والإلهام!.

من قال أن هذا المكان مخيف وممل!؟.

- من قال أن هذا المكان يفتقد للترفية والانسجام!؟ ".

- قالها الممدد الأخير في قراره نفسه.

- قال شبح الممدد الأول: لاتتسرع وتمني نفسك بقضاء أوقات عاطفية جميلة هنا يا ولدي.

- وأضاف: لأنه يا ولدي وبمجرد ظهور الصباح سوف يمحى من داخلك هذا الشعور الوردي الجميل .. وتصبح كبقية هؤلاء الممددين .. في كل شيء.

- قال شبح الممدد الأخير :

وا أسفاه .. لم يكن ذلك في الحسبان.

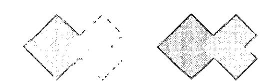
ولكن لا يا سيدي .. هذا لايمنع من أن تحدثني عنها، فإن وجودها في هذا المكان شيء يدعو للاستغراب والدهشة.

- قال شبح الممدد الأول:

أجل يأبني سأفعل ذلك وأحدثك عن هذا الشبح الجميل وغيره من أشباح، وعن أي شيء آخر تريد أن تسألني عنه..

- وأضاف:

وألان لايوجد متسع من الوقت فقد قارب الصباح أن يأتي فاذهب وتمدد في مقرك. وفي الصباح سيكون لنا شان أخر.



2- الحي المقابل

ببزوغ شمس ذلك الصباح الدافئة أكمل الحي المقابل ارتدائه لثوب الحياة.

كان ذلك الحي بموقعه الفريد يمثل لوحة فنية ساحرة تتجسد فيها مختلف أنواع التضاريس..

بحر ازرق كبير .. وتلال لجبال عالية .. وكثبان من الرمل الأبيض .. ومقبرة عتيقة .. وسماء تغطى سقف الحي، وتضفى عليه جمالاً ربانيا، وبعداً فنيا عظيماً..

... كان الحي المقابل للمقبرة بتلك التضاريس .. وهذا الموقع من أجمل الأماكن في تلك المدينة الشامخة .

ومع بزوغ الشمس ظهر أول المستيقظين .. انه ذلك الشاب النحيف والأنيق إنه (ادهم).

وكعادته على مر الأيام قام بواجبه التقليدي الذي جسد بساطة الحياة، والذي ميزه عن جميع أقرانه بنشاطه وإمكانياته، ودقة تصرفاته النادرة.

دبت الحياة من جديد في ذلك الحي .. واكتظت الشوارع والطرق بالمارة، كل الأشخاص يتجهون إلى أهدافهم، وارتسمت لوحة الحياة اليومية تدريجيا.

الأولاد كالعصافير يذهبون أسرابا أسرابا متجهين إلى فصولهم الدراسية، العربات مسارعة محملة بالناس لإيصالهم إلى أماكن أعمالهم.

تجمعات من الشباب كالعادة واقفين على أرصفة الطرقات وعلى بداية كل زاوية شارع منتظرين مرور الطالبات والفتيات الجميلات من أمامهم لمغازلتهن.

واختفى (ادهم) في مشهد الحياة بين زحام السكان، لا لم يختفي ... هاهو يكتب تاريخ الحي دون أقلام .. هاهو يقوم بإيصال إحدى أخواته إلى مقر دراستها.

الكل ذاهب فيما عدا السكان الجدد .. فأمرهم غريب وعجيب!!

فمنذ قدومهم للحى وهم لا يحركون ساكناً ولا يعملون، فلا يقومون بشيء سوى الحديث وبحقد عن ذلك الشاب .. (ادهم)..

كانت مجموعة من الشباب ... وكبيرهم عاد من بلاد الغربة حاملا لشهادة عالية في علم النفس، كان يدعى (شداد).

أما الباقون فقد كانوا لا يعملون.

(كامل)، (شاكر)، (نادر) .. وأصغرهم كان يسمى (إدريس).

نشأ هؤلاء الأخوة الشباب وهم مفلسون إلا من الميراث الذي تركه لهم والدهم (الشيخ عمران) الراحل منذ سنوات.

ترك لهم بعض الأموال - قبل أن يختفي عن الوجود - تركها في عهدة احد الأشخاص الموثوق بأمانتهم وحكمتهم في الحي إنه (الشيخ مبارك).

ترك له وصية كاتبا فيها:

"بسم الله الرحمن الرحيم"

سيدي الشيخ الطيب مبارك:

اولادى ما يزالوا صغارا ماعدا شداد .. ابني الأكبر!!.

وأخاف ياسيدى أن اختفى فجأة عن الوجود .. وتتبعثر أموالى، أو لا يتم الاستفادة منها بالشكل المطلوب، لذا أوصيك يا (شيخ مبارك) بعدم إعطائهم الأموال إلا بعد سنوات .. حتى يشب الصغار عن الطوق ويحسنوا التصرف، وعندها فقط اخرج لهم هذه الوصية وقسم فيما بينهم هذه الأموال.

كتبت لك هذه الوصية، وبشهادة الشهود، لانى أشعر بان ايامى أصبحت معدودات.

والسلام مسك الختام

"الشيخ عمران"

عندما أتى اليوم المرتقب والذي فيه سوف يتم فيه تقسيم الأموال حسب الوصية، فكل من الأشقاء سينال نصيبه.

أموال الوصية ستمكن الأخوة من شراء ارض في الحي، وسيقيموا عليها مسكنا، ويصبحوا من سكان الحي الجميل..

..استمر (ادهم) بطموحه المتضاعف دون أن يشعر بأنه قد كان متفوقا على أنداده .. فسر تفوقه هذا هو نشاطه المتجدد..

شاءت الصدف أن يكون (ادهم) محل نقاش هؤلاء الشباب الجدد، وذلك لأنه لا ياتى يوم إلا و(ادهم) كان قد مر من أمامهم أكثر من مرة دون أن يدرى.

وتناقشوا في تصرفاته .. فوجدوه لم يترك لهم شيئا في اى شيء.

- "ما العمل يا اخوتى!؟"

قالها (كامل) بغيرة واضحة وأضاف بحقد وحسد شديدين:

"أن هذا المدعو (ادهم) لم يُبقِ لنا شيئا لنفعله في هذا الحي.. فإن تصرفاته حقاً يااخوتى.. مزاياه وتفوقه.. اضهرت عيوبنا وبشكل فاضح أمام الجيران، فما العمل يا اخوتى.. اخبروني!؟"

- رد (نادر):

"إن هذا الأمر يحتم علينا التدبير وبشكل فوري وبذكاء لإبعاد (ادهم) عن هذا الحي بأي طريقة حفاظا على مياه وجوهنا .. أمام سكان الحي".

- قال (إدريس) الصغير:

"يظن نفسه الرجل الخارق"

- قال (شاكر):

" أن ما يحيرني هو كثرة الفتيات من حوله وكأنه لا يوجد هناك من هو سواه في هذا الحي".

- قال (إدريس):

" معبود النساء ألا ترون!؟ .. إنه معبود النساء".

- قال (كامل):

"لقد نطقت الكلمات المناسبة لما يدور الآن في ذهني ...".

"نعم الفتيات هن الاتى سيقضين على سمعته الحسنة .. ونجوميته في هذا الحي".

- تسأل الأخوة جميعا وفى آن واحد:

"كيف!؟"

- قال (كامل):

اتلاحضوا ياخوتى أن (ادهم) يدخل البيوت جميعها بكل يسر وثقة بل حتى لو لم يكن أولياء أمور سكان البيوت متواجدين!؟.

- قال (نادر):

"اجل، ولكن الفتى يعتبر محل ثقة أولياء الأمور"

- قال (كامل):

"لماذا لا نستغل هذه النقطة في حياة (ادهم) ونجعل منها نقطة ضعف، ومن خلال تردده على البيوت نبذر بذور الشك ونقنع اهالى الحي بأنهم مخدوعين فيه، وان (ادهم) ليس سوى شيطان صغير متقمص ثوب الملاك وانه محتال كبير قام بخداعهم، وخان الثقة الممنوحة له منذ زمن بعيد، وأنهم ينامون في العسل ... ولا يدرون ما الذي يحدث لهم ولبناتهم".

" أجل ياكامل اجل "

عبارة رددها الجميع مصحوبة بتصفيق هائل وقهقهة متناثرة..

- وأضافوا:

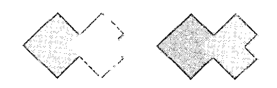
"يالك من لعين ياكامل"

وبالتالي سيتصرف بردود أفعال طائشة تجعله اقرب إلى الجنون..

وسنشيع عنه الشائعات بأنه مجنون ونفسر تصرفاته تفسير خاطئ لكل الجيران.

شرع الإخوة في تنفيذ ماأتفقوا عليه.. فانهالت المشاكل على (ادهم) وأخذت حياته منحى أخر ففقد ثقة أولياء الأمور تجاهه، وساءت حالته بعض الشيء .. ولكنه تغلب على هذه الظروف باتجاهه إلى تحقيق طموحات أخرى ... وبابتسامته المعتادة.

كل ذلك يجرى في الحي المقابل دون أن ينتبه احد لما كان يجرى خلف الستار، فقط الأشباح التي تقطن المقبرة المقابلة .. هي من راقبت ذلك فتحدثت بإعجاب عن (ادهم).



3- دوائر الأشباح

كان في إحدى دوائر الأشباح ..شبح الفتاة التي يحمل قبرها الرقم (3333) والتي كانت طالبة لامعة تدرس في إحدى الكليات العلمية، وقد كانت في حياتها على قدر كبير من الأنوثة والجمال والذكاء والأخلاق الحميدة .. لنشأة تلك الفتاة في احد البيوت المحافظة.

كان هذا الشبح هو نفس شبح الفتاة التي ظهرت في الليلة الأولى، وتسأل عنها المدد الأخير عند قدومه للمقبرة.

"أتت هذه الفتاة إلى المقبرة منتحرة".

معلومة همس بها شبح المدد الأول في أذن شبح المدد الأخير في الليلة الثانية ..

في حلقة دائرية أخرى كان يوجد شبح حامل الرقم (2222) وهو شاب كان في حياته لصا .. وجاء إلى المقبرة مقتولا بإطلاقات رجال الشرطة نتيجة لعدم استجابته لهم أثناء المطاردة.

قتل ولم يتمكن احد من معرفة مخبأة الأموال المسروقة .. وفى دائرة أخرى يوجد خمسة أشباح يتزعمهم شبح حامل للرقم

(1111) ماتوا غرقا في البحر بعد أن تحطم بهم قاربهم الخشبي وجاءوا في نفس اليوم إلى المقبرة.

... حلقات دائرية كثيرة كان بداخلها بعض الأشباح، وكانت مهتمة بذلك الشاب (ادهم) في تلك السنوات.

الكل معجب بذلك الفتى حتى الأشباح تمنت أن تعيش حياته، الكل يتابع حركاته وسكناته .. ابتداء من الصباح الباكر حين كان صغيراً، وانتهاء بالصباح الباكر بعد أن أصبح يافعاً .. كل يوم حكاية أصبحوا يعلمون أدق التفاصيل عن حياته وعن كل شيء.

جلسات وسهرات ليلية كانت تقام تحت ضوء القمر الجميل في ذلك الصيف الحار .. وكان محور حديثها (ادهم) .. والأخوة الشباب.

... تاريخ الحي مدون في سجلات الموتى .. أيقنت الأشباح أن هذا الفتى هو أفضل من سكن الحي المقابل عبر تاريخه .. وفهموا أن الحسد هو سبب المشاكل التي انهالت عليه فجأة ..

عرفوا أن من يرتكب المقالب الإجرامية في الحي هم الإخوة الشباب ولم يكن (ادهم).

وكيف يشيعون أخبار بأنه هو من ارتكب الفعلة تلك والفعلة تلك.

كان من بين هؤلاء الأشباح شبح غريب لشيخ مسن دائم الجلوس عند تلك الصخرة البيضاء والتي اتخذت من نفسها سدا أمام الشجرة الكبيرة الغريبة الشكل .. كان شبحا دون قبر .. ولا يحمل اى هوية مقبرية .. لم ينطق باى كلمه منذ أن جاء إلى هذه المقبرة في هيئه شبح ... وبلا جثة ..!

قتل هذا الشيخ في احد الأيام الشتوية الباردة .. بسبب امتلاكه لوفرة من الأموال.

قتل ولم يعثر على المنفذ لتلك الجريمة البشعة حينها!.. كان هذا الشيخ دائم الجلوس بمفرده .. لائذا بالصمت عند تلك الصخرة البيضاء .. دون أن يتفوه بكلمة واحدة .. لكنه كان يحسن الإنصات لما كان يدور حوله في الحي المقابل .. وفى المقبرة.

تطورت المعمورة وعظمت معالمها خارج المقبرة .. وأصبح الحي في حاجة إلى التجديد في كل شي ليواكب موجة التطوير .. نعم الأيام تمر والمباني تتآكل وتتداعى، فما بالك بالمقبرة والتي شهدت مراحل متعددة من مراحل الزمن، أنها الأولى بالتجديد.

تطور الحي في كل شيء .. إلا في سلوكيات سكانه الجدد، وتلك المقبرة التي أصبحت فجأة وبدون سابق إنذار في حكم الإزالة .. نعم الإزالة الفورية!.

حتى الأموات أصبحت مزعجة باحتلالها لتلك الأمتار القليلة التي اضطروا إلى التمدد فيها.

أزيلت المقبرة بواسطة ذلك الكم الكبير من آلات الحفر والشاحنات والعربات الكبيرة التي أتت ذلك الصباح الباكر فجأة .. لتهدم مساكن الأموات.

انتشرت الفوضى في المقبرة.. الأشباح تتطاير في كل مكان وعمت الفوضى داخل هذا الحي الهادئ.. وانتشرت الأشباح هنا وهناك.. وقررت الاقتران بالبشر الأحياء فى الحي المقابل، خارج المقبرة.

الكل يبحث عن صيد بشرى ليقترن به .. الكل يبحث عن الفتى (ادهم) للاقتران به، ليحيا حياته المثيرة.

ولكنهم تأخروا كثيرا .. ذلك لان شبح الشيخ الدائم الجلوس تحت تلك الشجرة قد لمح مكان تواجد (ادهم) فهاهو يمر مسرعا بمركبته الأنيقة كعادته هناك فسارع للاقتران به.

.. كان هذا الشيخ من اشد المعجبين بأدهم فقرر أن يعيش حياته، وان يكشف سر الجريمة المشينة عن طريق هذا الفتى النشط.

... لحظات صعبه وأليمة تلك التي اقترن فيها شبح الشيخ بجسد الفتى ... اختل التوازن الفكري للفتى ... وظهرت عليه علامات الجنون ... فتهادى بجسمه واصطدم بمركبته في احد أعمدة النور .. وانتهى مغشيا عليه على عجلة القيادة، وأسعف سريعا إلى المستشفى.

تطايرت بعض الأشباح الأخرى وكل منها اقترن بجسد صادفه أثناء هروبه من المقبرة..

الشيخ (2222) اقترن بشخص تمكن من إسعاف (ادهم)، الشبح (1111) اقترن بأحد الأشخاص الواقفين في الحي انه (إدريس) احد السكان الجدد.

شبح الفتاة (3333) قرر الاقتران بالفتاة التي سوف تكون صديقة لأدهم وذلك لأنها أحبته من كثرة الاستماع إلى إخباره.

شبح الممدد الأخير كان محظوظا جدا فاقترن بأحد الأشخاص المُغرمين بالفتيات الجميلات والقريبات جدا من (ادهم).

.. أما بقية الأشباح فانتشروا هنا وهناك بحثا عن أشخاص أثناء هدم تلك المقبرة البائسة للاقتران بهم.

4- تخاريف في عقل مريض

***احتاج (ادهم) حتى يتعافى إلى عدة جلسات ومراجعات عند ذلك الطبيب المعالج، والذي بإمكانه إعادة وإصلاح اى عطب في عقل المريض (ادهم)، أو اى مريض أخر من هذا النوع في هذه المدينة.

تردد (ادهم) عدة مرات على ذلك الطبيب بمساعدة صديقه (حازم) والذي أسعفه يوم الحادث.

كان (ادهم) خلال تردده، وفى كل جلسة للعلاج ياتى فيها متقمصا لشخصية احد عظماء التاريخ... وعمالقة الزمن من أمثال (عنترة العبسى)، (صلاح الدين الايوبي)، (بيتهوفن)، (بيكاسو)، (نوبل)، (اينشتاين)، وأيضا شخصيات الأساطير في ألف ليلة وليلة .. وأبطال مسلسلات الكرتون إلى شاهدها على شاشة التلفاز .. (السندباد والبساط الطائر) والمارد المسجون في تلك القنينة الزجاجية الصغيرة ..!

كان (ادهم) قبل الحادثة على درجة كبيرة من الاطلاع مما اثر على تصرفاته أثناء مرضه، فالمعلومات التي كان يقراها عن صلاح

الدين الايوبي مثلا تظهر في شكل حقيقة يجسدها دون أن يدرى .. فيخرج إلى الشارع حاملا إحدى العصي ويبارز في الهواء.

وعندما يسأله احدهم .. ماذا تفعل ياأدهم؟ يجيبه (ادهم): "ابتعد انى أحارب الصليبيين".

أما إذا تسربت إليه معلومات كان قد قراها عن الموسيقار العظيم(بيتهوفن) فسيتخذ مقدمة إحدى المركبات كآلة بيانو ويبدأ يعزف الحان لا توجد إلا في خياله فقط.

وعندما كان يتقمص شخصية (بيكاسو) فحدث ولا حرج، لأنه سيقوم باستعمال جدران المنازل كلوحات ويبدأ في طلاء تلك الجدران بألوان ورسومات غريبة ويتخيل في نفسه وكأنه يرسم لوحات سريالية فنية رائعة ..

... كان (ادهم) أيضا يقوم بمسح ودعك إبريق الشاي متوهما أن المارد المسجون سوف يخرج سريعا ليلبى رغباته متخيلا نفسه (السندباد) أو (علاء الدين).

كان ينادى طيور الحمام بياسمينة متوهما انه سوف يطرد عنها السحر، ويساعد الأميرة الصغيرة في فك سحرها وإعادتها إلى الحياة الآدمية ..

كان (ادهم) في درجة مابين الجنون واللا جنون، هوس كبير كاد أن يوصله إلى اشد حالات البؤس والشقاء ... أشياء كثيرة

ومعلومات تاريخية كانت مخزنة في لب تفكيره تمكنت من التسرب فجأة، وفى تلك الفترة المرضية ... زادته عناء ومتاعب، وكادت توصله إلى الانتحار.

وصل خبر جنون (ادهم) إلى إسماع السكان الجدد، فهللوا وطبلوا فرحا بالنصر ... واحتفلوا احتفالا كبيرا بهذه النتيجة الغير منتظرة.

لقد ارتاحوا من هذا الفتى وحركته الغير اعتيادية ... وتنفسوا الصعداء وابتهجوا أخيرا.

لاحظ (حازم) كل ماصدر من الأخوة الشباب تجاه (ادهم) فأيقن أن صديقه في ورطة اجتماعية، فأصر على مواصلة رحلة العلاج الخاصة بصديقه (ادهم) حتى يتعافى تماما من حالته الصحية السيئة ..

وبعد عدة أيام وليال طويلة وعصيبة من الله تعالى على (ادهم) بالصحة والعافية من جديد، وعادت المياه إلى جداولها مرة أخرى.

استأنف (ادهم) حياته الاعتيادية مرة أخرى، ولكن بصمت وحذر وأكثر تصميما وعزيمة على تحقيق ماتبقى من طموحاته الجميلة.

كانت أخر زيارة قام بها (ادهم) إلى ذلك الطبيب المعالج وكانت الفرحة ..

"لقد تعافيت تماما يا (ادهم)، لا أريد أن أراك هنا من جديد .. هيا ارحل"

.. كانت هذه الكلمات هي أخر كلمات تفوه بها ذلك الطبيب لمريضه (ادهم)، فأصبحت أجمل جملة طرد سمعها في حياته.

أتى سكان الحي إلى (ادهم) فرحين وشاكرين الله على سلامته، وأوصوه بالراحة حتى يتعافى تماما، معتقدين انه (ادهم) بشخصه القديم.

... مرت الأيام على هذه الحالة والسكان الجدد (كامل) وإخوته، مبتهجون لما حدث له من مآس، ... بينما (حازم) يتردد على صديقه (ادهم) ولا يفارقه أبدا.

... تغيرت تصرفات (ادهم) مع مرور الأيام ... وأصبح يمهد للكشف عن أسرار الجريمة ...

مرت الأيام على غير عادتها في ذلك الحي .. وفى يوم من أيام الدراسة المعتادة كُلف (ادهم) بالإشراف على تلك المجموعة الدراسية في تلك الكلية العلمية .. وذلك لان (ادهم) أصبح معيدا في تلك الكلية العلمية نتيجة لتفوقه الباهر دراسيا رغم حداثة سنه مقارنة ببقية الأساتذة.

فتى من الحي المقابل يصبح احد أساتذة الكليات العلمية الكبرى في المعمورة .. أصبح (ادهم) محط إعجاب وتقدير واحترام الكل.

... حتى الفتيات المراهقات الدارسات في تلك الكلية أعجبن برجولته وشهامته وتفوقه العلمي الباهر.

... كان هذا اليوم وهو يوم الإشراف على الطلبة محطة هامة في حياة (ادهم) لأنه كان دليل تفوقه بين اقرأنه أمام الفتيات.

... تعلقت به الفتاة حاملة الرقم الدراسي (3333)، وقررت في نفسها أن تلفت انتباهه إليها..

فتسألت:

" كيف يتم ذلك؟" وتوصلت للحل:

قررت إرسال قصاصة ورقية صغيرة بعد أن كتبت بها:

" لقد علمت انك طالب دراسات عليا هنا وأستاذ في نفس الوقت. اقدر فيك هذا التفوق العلمي، وأتمنى لك مستقبلا زاهراً. أرجو الإبقاء على سرية رسالتي هذه، وأتمنى لك كل التوفيق".

مع أجمل تحياتي

حاملة الرقم الدراسي (؟333).

وأغلقت الوريقة بعناية بعد أن عطرتها بإحدى الروائح الجميلة، ووضعتها في مركبة الأستاذ (ادهم) عبر نافذتها الصغيرة.

... في تلك اللحظات والتي قامت فيها الطالبة بوضع الورقة في السيارة لمح الشبح(3333) كل ذلك وسارع بالاقتران بالطالبة.

اختل توازن الفتاة، وشعرت بشيء رهيب قد الم بها، فأقفلت راجعة بسرعة إلى البيت دون أن تكمل يومها الدراسي.

أنهى الأستاذ (ادهم) يومه الدراسي، ورجع مسرعاً إلى بيته في ذلك الحي، وعند المساء قرر أن يقوم بتنظيف مركبته، فوجد قصاصة من الورق، فتحها فكانت المفاجأة ..!

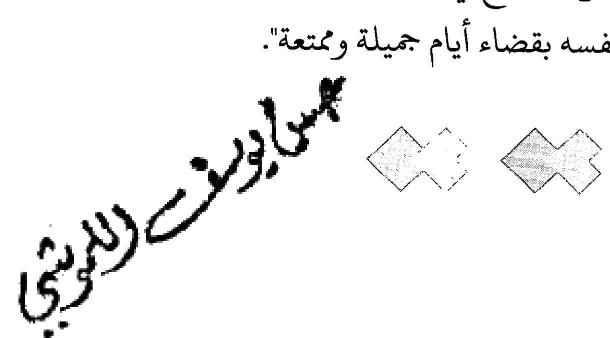
"رسالة صغيرة من مَن ..!؟"

تسأل (ادهم) بسرعة .. ثم قرأ الرسالة مرة .. مرتين .. ثلاث مرات .. أربع وأكثر.

"أتكون تلك الفتاة ؟.. أم تلك ؟.. أم هي خدعة من بعض الطلبة المشاكسين الذين أرادوا الاستهزاء بي .

.. أظنها قصة حب سوف تنسج في الخفاء، قصة حب واقعية..

قالها متمتما وممنيا نفسه بقضاء أيام جميلة وممتعة".



5- مقاعد الدراســـة

تمر الأيام الدراسية الجامعية بلحظاتها الجميلة، وأحداث رومانسيتها المشوقة والرائعة أحيانا .. تمر الأيام والأستاذ (ادهم) مثابر ومحافظ على نفس وتيرة التفوق تلك.

فقط.. أصبح حائرا جدا، وعاجزا عن معرفة من تكون.. صاحبة الرسالة الرقيقة؟.

وبفطنته وذكائه أدرك الأستاذ (ادهم) أن هناك ثلاث فتيات فقط هن من سيحصر تفكيره يهن وسيراقب تصرفاتهن.

.. تدريجيا .. أيقن أن هناك عشرة طلاب هم محور الشك والذين ضمتهم خانة الآحاد في الرقم الدراسي والتي ألغيت بعلامة استفهام "؟".

وكان سبعة طلاب من العشرة المذكورين هم من الذكور.

الثلاث المتبقيات هن من الطالبات الفاتنات، وكنَ يحملنَ أرقاما دراسية كالتالي:

(3336) و (3339) و (3333).

إحدى تلك الفتيات كانت تضطرب حين تراه، والأخرى أصبحت تزيد من ابتساماتها وتحياتها .. أما الثالثة فقد اختفت !! .. تلاشت . !! توارت عن الأنظار تماما ..!!؟

تمنى أن تكون هي .. لأنها بحق فتاة غير عادية، فتاة راقية، فتاة رائعة في كل شيء، أنيقة حلوة، وأنثى على درجة كبيرة من الجاذبية والذكاء والمثابرة والنشاط والحيوية، كانت كاللهب الذي لا ينضب شعلة متوهجة لا تنطفئ .. قوية الشخصية، محاطة بهالة غريبة من الموجات التي قد تكون سحريه، تلحظها حين تمر من أمام زملائها الطلبة، كانت تسمى (أصالة). "من الأفضل يا (ادهم) أن تبقى تصرفاتك طبيعية .. وان تتصرف بحكمة حتى يتضح لك الأمر جلياً، فهذا المكان حساس جدا، ووظيفتك مهمة ودقيقة جدا .. ولن ينتبه المسؤولون هنا إلى صغر سنك، بل سيحاسبونك فقط على المكانة العلمية التي تشغلها وأهميتها." قال (ادهم) ذلك في نفسه وأطلق زفرة من بين ثنيات صدره أراحته في تلك اللحظات.

أيام دراسية جميلة ومتعبة، بامتحاناتها المتعددة والتي لن تعطى للطلبة الوقت الكافي ليعبروا لبعضهم البعض عن مشاعرهم وأحاسيسهم .. !

.. كان صديق الأستاذ (ادهم) وزميله الدراسي .. شابا على درجة عالية من الوسامة والجرأة كان يدعى (حكيم صدقي).

كان (حكيم) هذا دائم الرفقة لـ (ادهم) .. ولا تمضى فترة أو لحظه من لحظات الراحة إلا و يقضيانها سويا.

كان (حكيم) ميالا بشكل واضح للفتيات .. وبالتالي كان هو الاختيار الأنسب لشبح الممد الأخير للاقتران به .. ولان (حكيم

صدقي) كان خبيرا بأحاسيس الفتيات قالها مرة صراحة عند مرورهم بأحد ممرات الكلية:

"ألا تخفى عنى شيئا يا (ادهم)؟ اخبرني".

- رد (ادهم):

" عن ماذا تتحدث؟ !!".

- قال (حكيم):

"الم تلاحظ يا (ادهم) إن هذه الفتاة ترتجف حين تراك؟ .. وكان هناك شيئا اوسرا .. متفقا عليه فيما بينكما .. ونجحت في إخفائه عنى".

- قال (ادهم):

"ماذا؟ .. ماذا تقول؟.

لقد فاجتنى .. أتدعى أنها توليني اهتمامها وأنت موجود معي!؟.. ألا تلاحظ ياصديقى .. وياعزيزى الوسيم .. ألا تلاحظ منذ أن صادفتك أنى لم أرى اى فتاة تنظر إلى!؟. أنها تنظر إليك ياصديقى كغيرها من الطالبات المراهقات اللاتي يكدن يتخاصمن عليك علانية."

- قال (حكيم):

"قسما بالله أنها لا تعيرني اهتمامها البتة .. بل أنها شديدة الإعجاب بك .. اجل .. هذا مايظهر جليا في عينيها حين تراك صدقني ياصديقى، صدقني."

.. كانت هي نفسها الطالبة (أصالة) حاملة الرقم الدراسي (3333) والتي ظلت متوارية عن الأنظار في الأيام السابقة.

.. ولان .. والان فقط تأكد (ادهم) من شخصية صاحبة الرسالة الرقيقة تلك.

"يا الهي".

رددها (ادهم) في جنبات قلبه .. وتسربت منه إلى خارج هذا الجسد النحيل .. ثم استدرك وجود (حكيم) بقربه، ولكنه أكمل بداخل نفسه:

" لقد وقعت على الكنز الثمين .. والياقوتة التي لا تقدر بثمن .. أنها (أصالة) محط إعجاب الطلبة والأساتذة جميعهم .. فكلهم سارعوا لطلب ودها ولكنها أبت احتراما، واعتذرت منهم بعفوية وشفافية صادقة .. فاكتسبت صداقتهم وإخوتهم وأيضا احترامهم.

- قال (حكيم):

"قسما بأنك ستكون الغبي الوحيد..أن تركتها وتركت هذه الفرصة، ولم تتعرف عليها.. ولان فعلت ذلك اعلم بأنك ستكون الأحمق الكبير في هذه البقعة من العالم..أتعرف.. أتعرف أنها في بداية قدومها إلى هذه الكلية.. أرسل إليها الطالب (وليد) لكسب ودها.؟"

- قال (ادهم):

"وليد من يكون هذا الوليد؟"

- قال(حكيم):

"(وليد فتحي) ابن الدكتور(فتحي) احد كبار أساتذة هذه الكلية"

- قال (ادهم):

"هل تعنى انه أرسل إليها لكسب ودها!" وماذا كان ردها؟ هيا أسرع بأخباري؟."

- قال (حكيم):

"رفضته ولم توله اى اهتمام بعد ذلك".

- قال (ادهم):

"ماذا ؟ ماذا؟ ماذا حدث بعد ذلك!؟"

- قال (حكيم):

"تأثر وليد جدا ورسب تلك السنة."

- قال (ادهم):

" لا . لا . لا أصدق ذلك لان المدعو (وليد) تلتف من حوله العديد من الفتيات الجميلات.. وكذلك اعتقد انه متعلق بتلك الفتاة (هناء) ابنة المستشار (حمدي)."

- قال (حكيم):

"نعم ارتبط بهذه الفتاة لرد اعتباره إمام الجميع وحفاظا على ماء وجهه، لان كبرياءه قد خدش ولم يرتض أن يظهر بدون رفيقة تشاركه العاطفة أيام الدراسة، وبالتالي يظهر عجزه عن تكوين علاقات رومانسية..فسارع إلى فتاة بديلة . وكان له ما اراد."

- قال (ادهم):

"ترفض وليد (ابن الذوات)، وترتبط بى انا الأستاذ المجهول الهوية فى هذه البقعة..! فمن أكون أنا!؟"

- قال (حكيم):

" لا تبخس نفسك قدرها.. نعم أنت و(وليد) من نفس السن، ولكنك تفوقه بعلمك وما وصلت إليه بمثابرتك إلى هذه المكانة العلمية، وأيضا هناك صفات رجولة واضحة لديك، وتميزك عنه، فهو لايزال في مرحلة الصبا ، ويعيش أيضا في مراحله الدراسية."

- قال (ادهم):

" اعتقد باني فهمت لماذا ارادتنى أنا بالذات؟"

- قال (حكيم):

"لماذا..؟"

- قال (ادهم):

" لقد خدش كبرياؤها أمام الفتيات عندما أيقنت أن (وليد) انصرف عنها بــ (هناء فتحي) فسعت بسرعة إلى البديل واختارتني انا..!"

- قال (حكيم):

"لا تظلم الفتاة .. أظنها قد رأت فيك فارس أحلامها".

- قال (ادهم):

"لا.. لا.. اعتقد اننى فارس كوابيسها وأوهامها .. وليس أحلامها، أنها تريد محاربة (وليد) بشخصي ..وسأصبح الضحية العاطفية"

- قال (حكيم):

" لا تفكر هكذا ياصديقى.. انتبه إليها وتعرف عليها.. ولا تفوت الفرصة.. وان لم تروق لك، استبدلها .. مثلما افعل انا في كل مرة..هه ها .. هه ها"

- وأضاف:

" هؤلاء الفتيات خلقن لهذا الغرض ، للتعارف لا للارتباط"

- قال (ادهم):

" لا ياصديقى (حكيم).. لا ياعزيزى، انك مخطئ في وصفك لأفضل مخلوق في هذا العالم ان هذا المخلوق الادمى يحتاج إلى التقدير والاحترام في التعامل معه."

- قال(حكيم):

" نحن متفقان إذا .. استعمل معها هذا الأسلوب، ولا تظلمها قبل أن تتأكد من مابداخلها تجاهك.. لأنها فتاة تدعو إلى التأمل والإعجاب"

- قال (ادهم):

" نعم انه لاشى يدعو إلى التأمل .. صدقت يا(حكيم) صدقت"

ردد الأستاذ (ادهم) هذه الكلمات واخذ مقعده الدراسي.. وجلس في انتظار الأستاذ المحاضر لأخذ دروسه المقررة في ذلك اليوم.

في المساء انتاب(ادهم) شي من الأرق.. واخذ يفكر في (أصالة).. تلك الفتاة التي بدأت تلتهم مساحات واسعة وكبيرة من تفكيره.. أظنها سلبت فؤاده بعد أن شغلته عن مثابرته في هذه الأيام، لم يأته النوم فنهض من فراشه واخذ يفكر.

"اعتقد أن قوة تأثير القلب والعاطفة اقوي من تأثير العقل والحكمة.. ويا للمفارقة عندما أريد المذاكرة اشعر برغبة قويه في النعاس وتاتينى رغبة جامحة في النوم والهرب من الصفحات والأسطر الدراسية المتعبة.. أما الآن فللقلب تأثير وأيضا له وجهة نظر.. لقد طرد النوم من عيوني واجبرنى على السهر."

ماذا يفعل .. أظنه محتاج لأغنية معبرة من إحدى شرائح الغناء لأحد المطربين.

.. أظنه يحتاج لسماع (العندليب الأسمر) أو (كوكب الشرق) أو(كاضم الساهر) في أغنيته " زيديني عشقا زيديني".

.. لا . لا أظنه اهتدى إلى الشريط المناسب انه للمطرب الراحل(عبد الحليم حافظ) والذي يحمل اسم (فاتت جنبنا).

اجل (فاتت جنبنا) هو اسم تلك الأغنية والتي عكست الصورة الحقيقية لما حدث في هذا الصباح.

..اخرج الشريط من مكتبته وفتح جهاز التسجيل الأنيق.. ووضع الشريط في داخله بلطف.

..وبدأت الموسيقى تنساب من بين جنبات الجهاز وخرجت كلمات الأغنية سلسة عذبة، تقول:

"فاتت جنبنا أنا وهو وضحكت لنا أنا وهو

رديت وكمان رديت وفضلت أرد لحد مافاتت

ونسيت روحي وصحيت اتاريها خدت الشمس وراحت

اعرف منــين أنها قصداني أنا مش هو

واعرف منـــين أن الضحكة لى مش له هو

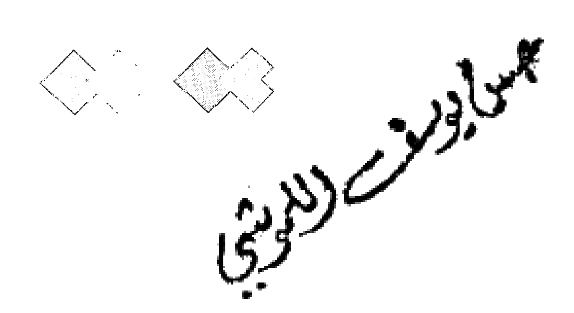
ولـــيه انا مش هو

... إلى أن اكتملت كلمات الأغنية و(ادهم) كان بين أحداث معانيها .. قد داهمه النوم العميق.

..وفى صباح اليوم التالي نهض .. فوجد الجهاز قد انطفأ تلقائيا.

"اجل انه الشريط المناسب"

قالها(ادهم) ناهضا ..متكاسلا ومتثائبا في نفس الوقت.



6- الشيخ عمران

تطورت علاقات (ادهم) الاجتماعية وأصبح محاطا بمجموعة من الأصدقاء الجيدين والذين لديهم وظائف هامة في تلك البقعة.

واخذ يستعد للكشف عن غموض تلك الجريمة بإيحاء من قرينة الشبح ولإظهار حقيقة اختفاء (الشيخ عمران)- منذ عدة سنوات واعتباره ميتا ذلك لأنه كان كبيرا في السن في ذلك الوقت كانت الحقيقة قاسية جدا ولا يعرفها احد سوى - (الشيخ عمران) القتيل وأبنائه (شداد .. كامل .. نادر .. شاكر .. إدريس ..) القتلة.

ولكن...!

كيف يقنع الكل بان لغز الاختفاء ما هو إلا جريمة شنيعة قام بها الأولاد منذ سنوات، وذلك للحصول على التركة والتي لم يعثروا عليها حين ذلك وادعاؤهم باختفاء والدهم فجأة.

وما سر تلك القطرات الدموية التي لا حظها المحققون عند الاختفاء.؟ ولانهم عجزوا عن العثور على الجثة سجلت القضية على أنها اختفاء (للشيخ عمران).

وطويت القضية تحت الرقم (2222) في سجلات الامن.

كان (حازم) محاميا ناشئا طموحا راغبا في الحصول على مبلغ مالي كبير ليفتتح به مكتب محاماة يشتهر في البلاد .. وأن يكسب به أشهر القضايا ويصبح من المع المحامين في البلاد.

كان هذا هو طموح (حازم) .. صديق (ادهم) وقد كانا صديقين حميمين إلى ابعد مدى.

كان (ادهم) يمهد لليوم الموعود والذي سوف يقوم فية بالكشف عن مكان الجثة بأخذ (حازم) إلى أماكن أخرى بعيدا عن المكان الصحيح وذلك تحت ذريعة القيام بنزهة بعيدا عن متاعب المذاكرة والامتحانات وكذلك كان (حازم) يتظاهر بالموافقة التلقائية حتى يضمن مجيء (ادهم) إلى المكان الذي خُبئت فيه المسروقات منذ عدة سنوات ، كان كل ذلك بإيعاز من الأشباح الأقران...

... وبعد عدة أيام حانت اللحظة الأخيرة لقد قرر (ادهم) أخيرا اصطحاب (حازم) إلى ذلك المكان الذي توارت فيه الجثة .. جثة (الشيخ عمران) والتي مازالت مدفونة تحت ذلك التل الذي لم يجرؤ احد على الاقتراب منة ساعة البحث عن الجثة المفقودة...

... وذلك بدفن الجثة بشكل جيد .. ووضع جثة بقرة فوق الجثة الآدمية لإخفاء الرائحة وخوفا من تسرب رائحة القتيل بطريقة أو بأخرى .. ووضع جثة بقرة أخرى بعد فقدان جثة البقرة الأولى لرائحتها بفعل الزمن.. وذلك حتى لا يجرؤ أحد على الاقتراب منها نتيجة عفونتها إلى أن نُسيت القضية بعد عدة سنوات.

..فوجئ (حازم) بكثرة عظام وهياكل الأبقار في ذلك المكان ونتيجة لولعه العلمي الشديد قرر أن يجمع هذه الهياكل ويعيد ترتيب وبناء عظامها من جديد عظمة عظمة ، وهذا ما تم بالفعل ..أخذا يترددان على نفس المكان ويجمعان العظام.

وفي بيت المحامي (حازم) يتم إعادة ترتيب هياكل العظام، لكل جثة هيكل عظمي خاص بها ولون مميز يميزها عن غيرها.

.. وهكذا إلى أن جاءت اللحظة التي تساءل فيها (حازم) مستغربا:

"ألا تشعر بغرابة هذا المكان .. ظني انه كان ساحة شهدت معركة للاستقلال عن مغتصب أثيم لهذا التل سقط على أثرها مجموعة كبيرة من الضحايا.

الا تشبه هذه الأبقار جيشا من المقاتلين الذين استبسلوا بضراوة للدفاع عن هذه البقعة حتى نالوا شرف الموت."

- رد (ادهم):

" نعم ياصديقي (حازم) هذا صحيح ولكن الاترى اختلاف حالة الهياكل واختلاف النوع الواضح هذا يجعلك تستبعد هلاك هذه الأبقار عن طريق الوباء فى ان واحد."

قال (ادهم) .. هذه الكلمات حتى لا يذهب تفكير حازم في هذا الاتجاه.

- قال (حازم):

نعم لقد فاتني أن الاحظ ذلك ولكن مازلت لا افهم سبب إصرار الناس على رمي جثث الأبقار في هذا المكان.

- وأضاف:

إذا ما السبب الحقيقي وراء كل ذلك؟.

- رد (ادهم) مازحا ومتهربا من الحقيقة:

ألا ترى أن هذا المكان قديم جدا وهذه الجثث قديمة جدا فماذا لو أن الناس منذ قديم الزمان اعتمدوا هذا المكان كمقبرة للحيوانات ألا ترى في هذا المكان وهذا الشى إثارة للفضول؟

ويستحثنا على جلب المعول والفأس والتنقيب لعلنا نجد شيئا اثريا ثمينا تحت رمال هذا التل

الا ترى انه أمر يدعو للمغامرة!؟

- رد (حازم):

نعم سوف نأتي بعد أيام ونجلب الأدوات اللازمة للحفر ونخيم في المكان ونبدأ بالتنقيب عن الكنز الثمين.

حانت ساعة الصفر وبدا العد التنازلي للكشف عن الجريمة بالنسبة (لأدهم) وشبح (الشيخ عمران) القرين ودقت ساعة الصفر وبدا العد التنازلي لاستخراج المسروقات بالنسبة (حازم) والشبح (2222).

كل منهما كان يسعى لتحقيق هدفه بطريقة يوحى بها للأخر أن الأمر كان مجرد صدفة .

لقد كان ولحسن حظ (حازم) نفس المكان الذي دفنت به المسروقات منذ عدة سنوات.

عدة أمتار فقط بداخل الأرض ويستخرج الكنز الذي سوف يفتح له المكتب الخاص بالمحاماة في

إحدى ضواحي المدينة .

...بدءوا بالحفر..

حفرة صغيرة صارت اكبر فاكبر تدريجيا وبينما هما منهمكان في الحفر اصطدم المعول بشيء صلب صاح (ادهم):

"ماهذا..؟!!

وتسابقا في إزالة ماتبقى من طين.

" أوه.. ماهذا يا (ادهم) ما هذا الشيء الذي يشبه الجمـــ...!!

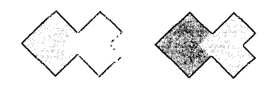
أنها بالفعل جمجمة.. يا ألهي ... "وامتزج الشعور واختلف فيما بينهما ..شعور بالألم والأسى مصحوبا بالغثيان ظهر واضحا في تقاسيم وجه (ادهم) و(الشيخ عمران) عند رويته الجثة الدفينة.

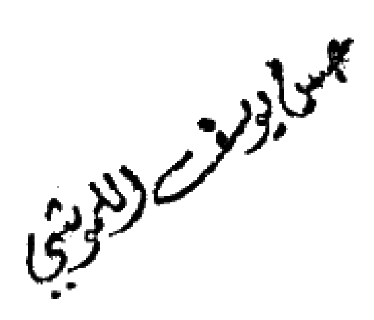
وشعور بالفرح والانتصار حين لمح (حازم) جزءا من صندوق المسروقات دون ان يتنبه له صديقه (ادهم).

رجع الاثنان إلى ذلك الحي وكل في ذهنه هدف يسعى إلى تحقيقه.

(ادهم) أيقن أن وقت الانتقام بظهور الحقيقة قد أزف عن طريق صديقه المحامي اللامع (حازم)

و(حازم) أيقن أن وقت بروزه في ساحة المحاماة قد حان .. لأنه امتلك في يده قضية هامة .. وأيضا الأموال التي ستمكنه من فتح مكتبه الخاص..





7- المحاكمة

صاح بأعلى صوته (الحاج عاشور) وكعادته على مر السنوات بكلمته التقليدية ما أن لمح القاضي والمستشارين يستعدون لدخول قاعة المحكمة.

"محكمة"

غير متناس طريقة إلقائها بتلك النغمة الموسيقية ..والتي لولا قدسية المكان لأنفجر الكل ضاحكا عند سماعه يرددها.

..كانت تلك الجلسة تدور حول القضية رقم (2222) قضيه (الحاج عمران) المغدور.

الأخوة (شداد – نادر – كامل – شاكر – إدريس)... داخل القضبان الحديدية والحراسة مشددة من حولهم..

.. (ادهم) جالس وسط حشد كبير من الحاضرين..وقد كان جالساً بقربه صديقه (حازم) ذلك المحامى اللامع والذي استطاع

بنشاطه أن يعجل في تقديم الجناة إلى العدالة..وقد ساعده المحققون في الكشف عن فصول الجريمة.

صمت الجميع وراقب بشغف مايحدث في تلك الدقائق..الكل ساكن فيما عدا الأخوة الشباب فلقد أتضح جليا عدم الاتفاق والتفاهم فيما بينهم..لقد دب الخلاف بينهم في جنبات المحكمة.

تمكن (حازم) بمساعدة المحققين من إلقاء القبض عليهم كل على حدة..وعند التحقيق لم يتم جمعهم ببعض..لقد تم عزلهم وإبعادهم عن بعضهم البعض...وبذلك تم انتزاع الاعتراف بخداعهم وإلصاق التهمة بأحدهم وإقناعه أن أخوته هم الذين اعترفوا عليه بذلك.

تكررت هذه الطريقة مع كل الأخوة..الكل ينهار ويعترف على (شداد) كونه صاحب فكرة الجريمة وهو العقل المدبر فيها.. إذن القاتل (شداد) ... وأخوته قد شاركوا في ارتكابها ولو حتى بالضرب والتستر...وبعد مواجهة القاتل (شداد) بالحقيقة اعترف صراحة بالجريمة وبكل بساطه، بل زاد على ذلك بافتخاره بنفسه

أمام القاضي..وتعدى ذلك باعترافه بأنه تسبب في انتحار شخص بداية استلامه عمله الجديد..فور قدومه من بلاد الغربة والتي بُعث ليدرس ويكمل تعليمه بها..ومنها تحصل على درجة الدكتوراه في علم النفس..

تفاجأ الكل بإدلائه بهذه الاعترافات...وتعالت صيحات الاستهجان، ثم خيم الصمت من جديد في قاعة المحكمة.. واستمعوا إلى اعترافاته بإصغاء وهدوء شديدين..

" لقد بدأت القصة سيدي القاضي..حين وقع نظري على فتاة احلامى..كانت فتاة جميلة..ساحرة ..فاتنة..كانت طالبة تدرس في إحدى القاعات التي ألقى فيها بعضا من محاضراتي..حاولت التعرف عليها ولكنها أ؟بت ورفضتني..كررتُ المحاولة..فكررت الرفض..دون أن تبدى الأسباب.."

(ترفضني أنا شداد)

صرخة أطلقها (شداد) في القاعة..وأضاف بصوته العادي:

"هذا مالم ولن أغفره لها ابدأ..

فكرت قليلاً،ووجدت الحل..لقد ابتكرت أنا الدكتور (شداد) طريقة الإنجاح الاختياري..وأطلق ضحكات هستيرية داخل قاعة المحكمة.. أجل إنها طريقة جديدة ومبتكرة.. في كيفية وضع؟ أسئلة الامتحانات والتي تجعلني أتحكم فيمن سوف ينجح بإجاباته وبين الذي أردت ترسيبه دون أن ينتبه أحد..." طريقتي كانت فلسفية ومبتكرة... وأطلق موجة من الضحكات الجنونية..ثم أكمل حديثه

تقدم الطلبة للامتحان..ونجحوا جميعهم..فيما عدا تلك الطالبة..وبعض ممن استحقوا فعلاً الرسوب.

رسبت الفتاة فعلاً في المقرر العلمي، تفاجأ الجميع واحتجت الفتاة الراسبة ولكنني أريتها وريقات إجاباتها والتي كانت بخط يدها..فاقتنعت بائسة واستسلمت للأمر الواقع.

..تكرر نفس الشيء معها في السنة الدراسية الجامعية التالية .. وأيضا التي تليها إلى أن يئست الفتاة، وتغيرت معنوياتها وملامحها ..وأصبحت إنسانة ضعيفة هزيلة ومريضة نفسياً..

.. وفى يوم من الأيام..وصلني خبر انتحارها..لقد وضعت حداً لاستمرار حياتها بتجرعها لكمية من السم القاتل.. أجل سيدي القاضي أجل سيادة المستشارين الأفاضل..نعم أخوتي الحضور الكريم؛ لقد تسببت فى انتحار تلك الفتاة..أنا القاتل أنا الذي لم يشك فيه أحد في كلتا الجريمتين ..لقد نفذت جرائمي بدقة وإتقان ..أنا من نفذ الجرائم الكاملة..."

... وأطلق سلسلة من الضحكات الجنونية وبصوت عالٍ داخل قاعة المحكمة ..مما أدى إلى استهجان وغضب كل من كان في قاعة المحكمة.

.. نظر الحضور إليه فأيقنوا أن هذا (الشداد) صار مجنوناً ..أو أنه يصطنع الجنون؛ خوفاًوهرباً من العقاب.

.. التفت القاضي يمينا وشمالا بين مستشاريه..

- وقال: "ترفع الجلسة للمداولة"

...أطلق الشيخ عاشور صرخته المعتادة من جديد:

"محكمة"

صخب وهرج كبيرين في القاعة.

حزن عميق في عيون (ادهم) .. وأطلق من دون وعى كلمات لم يفهمها أحد:

"أنا أتنازل عن القضية..أنا أتنازل عن حقي"

...التفت إليه الجميع باستغراب..واعتقدوا أنه قد جُن..

..كان (الشيخ عمران) هو من نطق هذه الكلمات في تلك اللحظة وليس (ادهم)..

.. لقد نطق هذه الكلمات بعاطفة الأبوة الخالصة .. ولم يفهمه أحد حينها.وكان ذلك من حسن حظه..

.. صرخ (الشيخ عاشور) بأعلى صوته من جديد:

"محكـــــــــــــمه"

- القاضي:

بالنظر إلى القضية رقم (2222) حكمت المحكمة على المتهم الرئيسي (شداد عمران) بالإعدام.. وتحال أوراقه لفضيلة المفتى.

الآخرون: (كامل، نادر، شاكر عمران) بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة.

.. صدر هذا الحكم بتاريخ 1 / 2 / 6543

فجأة صرخ (ادهم):

"الحرية تبدأ عندما تنتهي الحرية.. لأن الحرية تنتهي عندما تبدأ الحرية ..."

التفت إليه الجميع وتسألوا في داخل أنفسهم..

بماذا يهذى هذا المعتوه!؟

أكمل (ادهم) هذيانه المسموع .. لماذا لا تستبدلوا عقوبة الإعدام والسجن المؤبد بإطلاق المعاقبين في الطرقات بملابس ذات ألوان خاصة يكتب القضايا من على الأكتاف ويقيدون بسلاسل ثقيلة بدلاً من أن يسجنوا؟!

لماذا لا تستبدلوا قوانينكم المتكررة؟

تجاهله الجميع فجلس صامتاً.

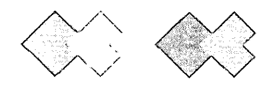
أما (إدريس) فلم يصدر ضده أيَ أحكام لأنه كان نائماً في تلك الليلة المشئومة.

خرج (إدريس) من قاعة المحكمة مهموماً..حزيناً..وحاقداً على كافة البشر ..مودعاً أخوته ..مشفقاً عليهم ومتوعداً بأنه سينتقم شر انتقام من (القاضي) والقانون و (ادهم) وصديقه (حازم) وكل من تعاطف معهم.

..خرج (إدريس) من قاعة المحكمة والأفكار متزاحمة فى ذهنه.

... الآن فهمت لماذا كان أخوتي يقومون بشراء بقرة كل بضعة أشهر وفجأة يدعون بأنها ماتت ثم يقومون برمي جثتها في ذلك التل البعيد .

لقد كانوا يشترونها أصلاً لإخفاء الجثة إذا ويقومون بتسميمها ورمى الجيفة في تلك البقعة النائية.



8- اقتران ورحيل

مع بداية العام الدراسي الجديد ..بدأت الفصول الدراسية في استقبال طلابها الذين عادوا إليها في نشاط وحيوية..كعادتهم في مطلع كل سنه دراسية جديدة.

صخب وفرح.. هرج ومرج.. وكلمات ترحاب مبعثرة ومتناثرة هنا وهناك .. وفى أحد جوانب الكلية ظهرت ثلاثة من الطالبات وكلهن متجهات إلى المكان الذي يقف فيه الأستاذ(ادهم) والأستاذ (حكيم) للترحيب بهما أيضاً ...لكونهما من أركان هذه الكلية الآن.

لم تكن الفتيات القادمات سوى .. (أصالة) وزميلاتها .. (حنان) و(إيمان).

- قال (حكيم): "هس ..انظر من قدم نحونا!؟"

- قال (ادهم): "ياألهى..ماذا يردن؟"!

- قال (حكيم): "أنهن قادمات للتعارف بالطبع ..ولكن تحت ستار الترحيب بالعام الدراسي الجديد"

- قال (ادهم): "كله سيان"

- قال (حكيم):

" تعقل قليلا ..لقد اقترين .. "وأضاف":اصمت يا (ادهم) اصمت"

- قال (ادهم):

"سمعاءوطاعة ياصديقى"

- قالت (حنان):

"أهلا أستاذ (ادهم).. أهلا أستاذ (حكيم). كيف الحال؟ وكل العام وانتم بخير.

لقد أصرت صديقتاي ..(إيمان) و (أصالة) .. على الترحيب بكما"

- قال (حكيم):

"شكراً لقدومكن..وعلى هذه اللفته الرقيقة"

- قالت (أصالة):

"لا داعي للشكر فهذا من واجبنا ياأستاذ (حكيم) .. ولكن!!

مابال الأستاذ (ادهم) شارد الذهن ولا يتفوه بكلمة ....أتراه مشغولا بالتحضير للعام الجامعي الجديد!؟أو أننا قد قدمنا في وقت غير مناسب"؟

- رد (ادهم)، بعد أن هام في بحر من أحلامه الوردية:

" لا . لا . أبداُ.. أهلا بكن في أي وقت ..كل الأوقات مناسبة." وأضاف مازحاُ:

"حتى وان لم يكن كذلك..سنجعلها مناسبة لأجلكن"

- قالت (أصالة): "شكراً لكما..ولكن في الحقيقة أن (إيمان) تريد أن تستفسر عن بعض المراجع والكتب الهامة ..وعن كيفية اختيارها من بين العدد الهائل من المراجع الموجودة في مكتبة الكلية".

- رد (ادهم):

"بكل سرور.. ونحن سنسعد بخدمتكن جميعاُ"

- قالت (حنان) وبعد أن نظرت في ساعتها:

"والآن بعد أن اتفقنا على كل شي علينا أن نذهب..مخاطبة (أصالة) و(إيمان) - هيا"

- قال (حكيم):

"لا يزال الوقت مبكراً على الذهاب"

- قالت (إيمان):

"شكراً..ولكننا منشغلات بعض الشيء، والأيام القادمة كثيرة وستملون منا أكيد" وسارعن بالابتعاد عن المكان خجلاً وحرصاً.

- قال (حكيم):

"لا أظننا سنمل منكن عزيزاتى..فنحن لا نمل من مثيلتكن ..فأنتن كل شي في الحياة، الماء والهواء والسماء والأزهار والهناء والشقاء ..واوا..وا..وا..

وبينما (حكيم) مسترسل في وصفه وهذيانه قفز (ادهم) مبتهجا وصائحا: "أنها هديه الله... يا للسماء أنها تمنحني أجمل مخلوق ..لقد حدث كل شي في لحظات..لقد حدث التعارف بشكل سريع جداً..الشكر لله..الشكر لله.

- قال (حكيم) ومتظاهراً بالحكمة:

"تعقل يا (ادهم) ..تعقل يامجنون ولا تفضحنا .. ماذا لو عدن فجأة، ووجدناك تقفز وتصرخ هكذا".

- قال (ادهم):

" أجل ..صدقت..أجل ..الآن حان وقت التصرف بعقلانيه أكثر..أجل"

- قال (حكيم): "(سترك يارب)"

ومع مرور الأيام توالت اللقاءات وتوطدت العلاقة بين مجموعة الطالبات والأستاذ (ادهم) وزميله (حكيم)، وفي أحد أيام الدراسة ..اتفقت الطالبات الثلاث على ترك (أصالة) لتنفرد بالأستاذ (ادهم) حتى يتم تعميق العلاقة بينهما.

حدث كل شي بسرعة ..بعد ترك (حنان) و(إيمان) لأصالة بمفردها مع الأستاذ (ادهم) .. ثم تمت المصارحة العاطفية بينهما واتفقا على استمرار اللقاءات.

توالت لقاءاتهما بمرور الأيام..وتبين أن كلا منهما يكمل الأخر ...فاتفقا على الزواج بمجرد إنهاء دراسة)أصالة وتسلمها الشهادة العلمية من هذه الكلية.

كانت من أجمل ليالي الحي تلك الليلة التي زفت فيها (أصالة) إلى الدكتور (ادهم).

الكل مبتهج بهذا الحدث الجميل .. الكل مسرور ويشارك في إحياء الفرح بطريقته.. الكل مسرور فيما عدا (إدريس) .. وقرينه الذي جلس وحيدا شاردا حزينا بعيدا هناك في أخر الحي .. جلس حزينا يحاول التفكير للقيام بشيء ما .

لم تظهر عليه بوادر العدوانية تلك الليلة.. بل ظهر عليه الهدوء والحزن الشديد والاستغراب من عدم مبالاة أخوته وعدم شعورهم بالندم والتأثر لقتلهم والدهم ذلك الشيخ المسن فى تلك الليلة المشئومة .

.. وتسأل :

هل هم اخوتى حقاً؟

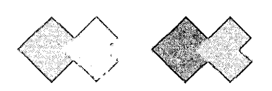
" لأدرى" كلمة رددها (إدريس) أكثر من مرة مستغرباً!.

تمكن قرين (إدريس) الشبح (1111) شبح الغريق من اخذ (إدريس) دون أن يدرى إلى الشاطئ حيث كان بانتظارهما أربعة أشباح مرتدون ملابس سوداء بالية ويستعدون للرحيل بالقارب إلى الأرض الأخرى.

زفت (أصالة) إلى (ادهم) في ليلة من ليالي الربيع الدافئة، وبعد اكتمال مراسم الحفل بدخول العروسين.

نام الجميع .. جميع سكان الحي فيما عدا بقية الأشباح التي انسلخت من أقرانها ورحلت بعيداً

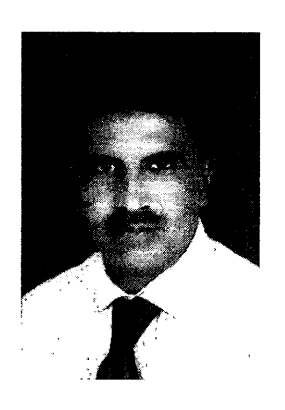
بعيداً إلى حيث بنيت المقبرة الجديدة



تمت بحمد الله

إلى اللقاء في جديد الكاتب

الفهرس



أ. حسن ابوقباعة المجبرى

الحائز على الترتيب الثالث فى مجال الرواية

في مسابقة الإبداع الشبابي 2010

رواية

غياهب الحي المقابل

الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE